جامعة ابن طفيل

كلية اللغات والآداب والفنون

شعبة: اللغة العربية وآدابها

الفصل: الثالث

وحدة: الصواتة

الأستاذة: الإدريسية العبودي

المحاضرة: الثانية

السنة الجامعية

2021-2020

الفونيم: تعريفه ومكوناته

1 تعريف الفونيم

- يعد الفونيم (Phonème) من المصطلحات الأكثر استعمالا وتداولا في مجال الصوتيات، وهو العنصر الأساس في الدراسات الفونولوجية، إذ حظي باهتمام كبير من قبل علماء قدموا العديد من البحوث حوله.

وفي هذا الصدد، يقول "Robins": **«كمية كبيرة من المداد قد استخدمت في الجدال حول، وداخل نظرية الفونيم»** (أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**).

- إن ظهور مفهوم الفونيم قد أحدث ثورة كبيرة في مجال علم الأصوات. يقول "كرامسكي" في اكتشاف الفونيم: **«إن ذلك يعادل اكتشاف الطاقة النووية، لأن هذا الكشف في مجال علم اللغة أدى إلى ثورة في التفكير اللغوي، كما أن كشف الطاقة النووية أدى إلى ثورة في العلوم التقنية»** (أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**).

- و"الفونيم" مصطلح غربي من حيث نشأته، وهو منقول عن الكلمة اليونانية (Phónéma) والتي تتألف من (phóne)، والتي تعني "صوت"، واللاحقة (émat , éma) المختصة بالأسماء، والتي تعني "شيء" أو "وحدة" (محمد منصف القماطي، **الأصوات ووظائفها**).

- ودخل هذا المصطلح إلى حقل الدرس العربي الحديث من خلال ترجمته إلى ألفاظ عدة منها: صوت، صوتم، صوتيم، مستصوت، صوت مجرد، لافظ، صوتية، وعُرّب إلى فونيم وفونيمية (عصام نور الدين، **علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا**).

- ومن أجل تجنب مسألة تباين المصطلح واضطراب المفهوم الناتج عن تعدد اللفظية للمدلول الواحد، فقد فضل بعضهم تعريبه إلى "فونيم" (Phonème) حتى تتفق المراجع العربية على ترجمة موحدة وثابتة.

- عرف الفونيم تعاريف عدة تبعا لتعدد المدارس، وتوجهات العلماء ومناهجهم وتصوراتهم للغة والصوت، وهذه التعاريف تتفق حينا وتتباين حينا آخر. وقد صرح بذلك اللغوي الإنجليزي "دنيال جونز" قائلا: **«كل التعاريف التي سمعت بها يمكن مهاجمتها ولا أظن أنه من الممكن أن أقدم تفسيرا لا يترك منفذا للشذوذ والاستثناء»** (عبد القادر عبد الجليل، **الأصوات اللغوية**).

- ومن بين هذه الاتجاهات في تعريف الفونيم نجد: الاتجاه العقلي، والاتجاه المادي، والاتجاه الوظيفي، والاتجاه التجريدي، ولكل اتجاه نظرته الخاصة للفونيم و يقدم تعريفا خاصا له.

- **1.1 الاتجاه العقلي النفسي:** ويمثل هذا الاتجاه "بودوان دي كورتوناي"(Boudoin de Courtenay)، وهو من أنصار المدرسة العقلية النفسية الذي عرف الفونيم «**على أنه الصورة العقلية للصوت**» (أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي). بمعنى أن الفونيم صوت واحد «**له صورة ذهنية تجريدية في استطاعة المتكلم أن يستحضرها في ذهنه، محاولا أن ينطقها في الكلام الفعلي بدون شعور، لكنه قد ينجح في تحقيق هذه الصورة الذهنية فيعبر عنها بصوت حقيقي، وقد يخفق فيحاول أن يأتي بأقرب صوت إلى هذه الصورة، وإن لم يماثلها تماما**» (محمد مصطفى رضوان، **نظرات في اللغة**).

- ومن أصحاب هذا الاتجاه أيضا "إدوارد سابير" (Sapir) الذي يعرف الفونيم بقوله: «**الفونيم صوت مثالي نحاول تقليده في النطق، ولكننا نفشل في إنتاجه كما نريد، أو بنفس الصورة التي نسمعه بها**» (أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**).

1.2 الاتجاه المادي: يعد "دانيال جونز" (D,Jones) من أنصار هذا الاتجاه، وهو المفكر الأول لهذه النظرية ورائد مدرستها الذي يرى أن الفونيم عبارة عن **«عائلة من الأصوات في لغة معينة، متشابهة الخصائص ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق اللغوي الذي يقع فيه الآخر»** (حسام البهنساوي، **الدراسات الصوتية**).

وكمثال على ذلك كون **« السين في كلمة «سماء» تختلف من ناحية الصفة عنها في كلمة «سطاء» مثلا، فهي في الثانية ذات قيمة تفخيمية ليست في الأولى، ومع ذلك نسمي كل واحدة منها «سينا»، ونرمز لهما في الكتابة برمز واحد»** (رمضان عبد التواب، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**).

- **1.3 الاتجاه الوظيفي:** ومن أصحاب هذا الاتجاه "تروبتسكوي" (Troubetzkoy)، رائد مدرسة براغ اللغوية الذي ذهب في تعريفه للفونيمات إلى كونها **«أصغر وحدات اللغة التي تستطيع -بطريق التبادل- أن تميز كلمة من كلمة أخرى»** (كمال بشر، **علم الأصوات**).

- وعليه فأصحاب هذا الاتجاه ركزوا في شرحهم للفونيم على وظيفته في التفريق بين المعاني، لذلك عرفوه بأنه **« أصغر وحدة صوتية، عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني»** (أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**).

- **1.4 الاتجاه التجريدي:** ويمثله العالم الأمريكي "توادل" (F .Twaddell) الذي يرى بأن **«الفونيم ليس له وجود حقيقي لا من الناحية العضوية ولا من الناحية النفسية وإنما هو وحدة خرافية تجريدية»** (تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**). بمعنى أن الفونيم ليس واقعا ماديا أو نفسيا، وإنما هو وحدة مجردة خيالية.

- فهذا الاتجاه يعد الفونيمات مستقلة استقلالا كاملا عن الخصائص الصوتية المرتبطة بها (محمد جواد النوري، **فصول في علم الأصوات**).

- وبالتالي، تتفق هذه التعريفات، وإن تباينت على مستوى توجهاتها، على كون الفونيم هو أصغر وحدة صوتية تعمل على تغير المعنى داخل التركيب اللغوي، أي أن الأصوات تتمايز وتختلف فيما بينها بسبب اختلاف مخارجها وصفاتها بين شفوية وأسنانية وحلقية، وبين مجهورة ومهموسة ومرققة ومفخمة وغير ذلك.

- فوظيفة الفونيم، إذن، هي التمييز بين الكلمات. على سبيل المثال، فعل "قال" : إذا وضعنا مكان "القاف" في هذا الفعل "ميما" ولم ندخل أي تغيير آخر على الكلمة نحصل على فعل "مال"، وبذلك نلاحظ تغيرا على مستوى المعنى. "فالقاف" إذن فونيم، و"الميم" فونيم آخر، لأنه أدى إلى تغير المعنى.

- "فالقاف" و "الميم" هما اللذان يفرقان بين معنى الفعل الأول والفعل الثاني. إضافة إلى ذلك فإن الفونيم قد يحمل معنى دلاليا داخل التركيب، بمعنى أن وظيفته قد تكون إيجابية أو سلبية.

- تتحدد الوظيفة الإيجابية أو الأساسية بتحديد معنى الكلمة، أي أن الفونيم يساعد في تمييز معنى المفردة التي تحتوي عليه.
- أما الوظيفة السلبية أو الثانوية فتتجلى في إبراز الفرق بين كلمة معينة وباقي الكلمات.
- مثلا، إذا قمنا باستبدال موقعي التراكيب اللغوية ل "قال"، "نال"، "سال" سوف تتحدد إيجابية الفونيم.

أما السلبية فتتمثل في حفظ كلمة " قال" مختلفة عن "نال" و"سال" وغيرهما.

- مثل: نال_____ن + (- س) + أ + ل
- سال_____س+ (- ن) + أ + ل

2- مكونات الفونيم:

- الاتجاه السائد لدى علماء الأصوات هو اعتبار الفونيم مجموعة وحدات صوتية، **«تجمع تحتها متعددات»** (أحمد عمر مختار، **دراسة الصوت اللغوي**).

- ويقول العلماء بوجود اتجاهين رئيسيين في تحديد ماهية هذه المتعددات:

- **أ- الاتجاه الأول:** يرى هذا الاتجاه أن للفونيم مكونات وهي عبارة عن أصوات، والفونيم هو الوحدة التي تجمع هذه الأصوات، التي يطلق عليها مصطلح " ألوفونات" (Allophones). ولا يمكن تحديد ألوفون لفونيم ما إلا داخل السياق، أو الموقع الصوتي الذي يرد فيه.

- **ب- الاتجاه الثاني:** يرى هذا الاتجاه أن مكونات الفونيم ملامح صوتية مميزة، أو ملامح تمييزية (Distinctive Features)، وتعني خصائص صوتية يمكن أن تميز معنى منطوق من معنى منطوق آخر.

2.1 الألوفون أوالبديل الصوتي:

- الألوفون في الدراسات الصوتية هو عبارة عن صورة واقعية للفونيم، تلك الصورة يحكمها السياق الصوتي الذي يرد فيه الفونيم، الذي قد يتغير بفعل تأثير الأصوات المجاورة له في السياق فيفقد بعض خصائصه وسماته، أو يكتسب خصائص أخرى.

- ويعرفه D . Bolinger بقوله هو عبارة عن **«مظهر مادي متباين للفونيم»** (علم اللسانيات الحديثة، **عبد القادر عبد الجليل**) بمعنى، هو أحد أفراد المجموعة التي يضمها الفونيم.

- ويقول عاطف مذكور: **« الألوفونات أو الأصوات هي التنوعات الصوتية التي يتحقق بها الفونيم»**، (عاطف مدكور، **علم اللغة بين التراث والمعاصرة**).

- مثال: سال/صال
- السين في "سال" مرققة أترث في اللام وأصبح نطقه مرققا.
- الصاد في "صال" مفخم، مطبق، أترث على اللام وأصبح نطقه مفخما.
- إذن، إذا كان السين والصاد فونيمين يغيران المعنى، فإن اللام المفخمة ما هي إلا بديل صوتي. ويظهر هذا الأمر بوضوح في المثال التالي:
- -الله (ل) = (+ مفخم)
- -بالله (ل)= (- مفخم)

- ففي الكلمتين نحن إزاء نطقين مختلفين لصوت اللام، لكنهما في اللغة العربية صوت واحد، أي فونيم.

فرغم تفخيم اللام في التركيب الأول إلا أننا نقول إنها "لام"، ولا يمكن "لللام" المفخمة أن تتبادل موضعيا

مع اللام في (بالله). واختلاف نطق اللام هنا من قبيل التنوع الفونيمي لأن معنى الكلمة (الله) لا يتغير سواء

نطقت لامها بالترقيق أو بالتفخيم.

2.2 المتغيرات/البدائل الحرة:

- تسمى بدائل حرة لأنها تقع خارج النظام اللساني، إذ لا يوجد في هذا النظام ما يعلل ظهورها. إنها تجلي لمبدأ التغير الذي يرافق دائما عملية النطق. فالمتكلم لا يتحكم في اختيارها كونها تعود لعوامل خارج لسانية، أي ناتجة عن عوامل اجتماعية أو جغرافية. إن هذه المتغيرات/ البدائل لا تؤدي إلى تغيير في المعنى الدلالي للمنطوق اللغوي، فهو لا يحدث أي أثر في بناء الكلمة أو معناها. وعادة ما تستخدم الألوفونات الحرة في اللهجات، ويمكن أن نمثل لذلك في اللغة العربية لأشكال النطق المتعددة لفونيم "القاف" .

- مثال على ذلك:
- طرائق نطق الفونيم /ق/ الذي يوصف بأنه لهوي مهموس، فهو ينطق أحيانا:
- /ك/: طبقي مجهور، وهو نظير الكاف المجهور
- /أ /: حنجري مهموس، يوافق نطق القاهريين في مصر والفاسيين بالمغرب.
- إن الألوفونين (ك) و (أ) يحيلان على نفس الفونيم /ق/ وتربط بينهما علاقة تبادل لا علاقة تعارض/ تقابل. وتغيرهما حر لأنه يتعلق بشخص المتكلم لا غير. فالكلمة تبقى واحدة أيا كانت البديلة المستعملة لنطقها. فالبديل الصوتي في هذه الأمثلة لا يتمتع بوظيفة تمييزية، لأن التغيير الصوتي لم يلحقه تغيير دلالي في معنى الكلمة.

2.3 البدائل التأليفية / السياقية:

- هي بدائل تعود لأسباب لسانية محضة، وتظهر في سياقات محدودة. فالوحدات التمييزية داخل اللغة، والتي تسمى فونيمات، ليست ثابتة، إذ تتغير طبيعتها الصوتية تبعا لمحيطها الصوتي، أي السياق الذي تتواجد فيه، وهو ما ينتج عنه ظهور ما يسمى بالبدائل التأليفية أو السياقية.

- مثال: نطق السين في الكلمات التالية: /س/

- أسلم س1 س (+ مهموس)
- أسدل س2 ز (+ مجهور)
- يسطع س3 ص (+ مفخم)

- فالسين في كل كلمة من هذه الكلمات ينطق بصورة مختلفة عما ينطق به في بقية الكلمات، فيمكن أن نسمي هذا التنوع للسين ألوفونات.

- فمجموع النطوق الثلاثة : س1 و س2 و س3 توافق فونيما واحدا هو /س/. فالكتابة واحدة رغم اختلاف النطق. فنحن إذن أمام ثلاثة أصوات مختلفة، وليس صوتا واحدا. فمن الناحية النطقية، نجد ثلاثة أصوات. ومن الناحية الذهنية والتجريدية والإملائية، نحن أمام فونيم واحد.

- أما في اللغة الإسبانية فيعد صوتا "السين" و "الزاي" تنوعين لفونيم واحد هو /S/، غير أن هذا الاختلاف لا يحدث إلا من الناحية الصوتية لا من الناحية الفونولوجية، ككلمة mismo والتي تعني الآن.
- فالسين فيها تنطق "زايا" بطريقة آلية إذا وقعت قبل صوت صامت مجهور هو "الميم"، لكنها تنطق مهموسة في سائر الكلمات الأخرى ككلمة «tasa» والتي تعني النسبة.
- ولكن في اللغة العربية يعتبران فونيمين مختلفين عن بعضهما البعض من الناحية الصوتية والفونولوجية مثل " زار/سار" . مثلما يعدان فونيمين مستقلين في الفرنسية لأن لكل منهما رمزا خاصا به /S/ / Z/.